النسوية الإسلامية بين مطرقة النسوية البيضاء وسندان الإسلام الذكوري

د . مديحة عتيق

جامعة سوق أهراس

الملخَّص:

النسوية الإسلامية حركة معرفية حديثة تسعى في رؤيتها العامة إلى تفعيل حقوق المرأة في المساواة مع الرجل من منظور إسلامي، لعلّ أهمّ أطروحات النسوية الإسلامية هو إعادة تأويل النصوص الدينية من منظور نسوي تسعى هذه الورقة إلى أن تناقش مفهوم النسوية الإسلامية وتاريخ ظهور هذا المصطلح ، ومجالات اهتمام هذه الحركة وأهمّ أولويات اجندتها الفكرية والنضالية، والاعتراضات التي واجهها هذا المفهوم من قبل أنصار الإسلام التقليدي من جهة، ونصيرات النسوية البيضاء/ الغربية من جهة أخرى، كما تناقش الورقة ردود النسوية الإسلامية على تلك الاعتراضات، وتأثير تلك الاعتراضات وردودها في تشكيل هوية النسوية الإسلامية.

ABSTRACT

Islamic feminism is a form of feminism concerned with Muslim women. It advocates women's rights, gender equality, and social justice grounded in an Islamic framework .. It seeks to reinterprete Quran and Sunnah from feminist perspective

This paper seeks to highlight the definition of "Islamic Feminism , its historical background, its intellectual and activist fields, the paper will discuss also the critics that this movement confront from "white Feminism" and "Masculine Islam" as well and the responses of this movement to these critics and how that help to constitute "Islamic Feminism" 's identity

النسوية الإسلامية (Islamic Feminism) مصطلح حديث النشأة، أطلقته مجموعة من الناشطات والأكاديميات المهتمات بتفعيل حقوق المرأة داخل الإطار الإسلامي، على غرار أميمة ابو بكر، وأمينة ودود، وأسماء المرابط، ورفعت حسن، ...الخ، وقد أثارت هذه التسمية المركبة جدلا كثيرا في أوساط أنصار التيار الإسلامي التقليدي ونصيرات النسوية البيضاء على حدّ سواء ممّا أثّر في فهمه وتلقيه، وستعرض هذه الورقة لأبعاد هذه القضية، ولنبدأ بـــ:

النسوية الإسلامية: المفهوم والنشأة:

ظهر مصطلح النسوية الإسلامية في منتصف تسعينيات القرن العشرين في بقاع مختلفة من المعمورة على يد مجموعة من النسويات أمثال الباحثة السعودية ميّ يمني المصطلح في كتابها ***"النسوية والإسلام"*** عام 1996، «ووظّف المصطلحَ الباحثتان التركيتان ياسمين أرات (Yesmin Arat)و فريد أكار (Ferid Acar) في مقالاتهما، والباحثة نيليفر غول(Nulifer Gole)) في كتابها **"الحداثة المحرّمة"** (The Forbidden Modern) عام 1996 كي يصفن نموذجا نسويّا جديدا ناشئا في تركيا، ووظّفت الناشطة الجنوب إفريقية شميمة شيخ (Shamima Shaika) مصطلح النسوية الإسلامية في تسعينيات القرن الماضي، ومنذ منتصف التسعينيات أصبح المصطلح معروفا في العالم الإسلامي.»[1] وقد تداولته نسويات كثيرات من مختلف أنحاء المعمورة، نذكر منهنّ:

من مصر: مارغو بدران، أميمة أبو بكر، أماني صالح، نيفين رضا..

من لبنان: حُسن عبّود

من المغرب: فاطمة المرنيسي، أسماء المرابط

من إيران: زيبا مير الحسينيZiba Mir Hosseini)، أفسانة نجمة بادي(Afsaneh Najmabadi)، نيرة توهيدي(Nayereh Tohidi)

من أمريكا: أمينة ودود(أصولها إفريقية)، أسماء بارلاس(أصولها باكستانية)، كيشيا علي، ليلى أحمد، عزيزة الهبري

من ماليزيا: جماعة (أخوات في الإسلام)

من باكستان: رفعت حسن،

وقدّمن له تعريفات عديدة، أشهرها تعريف مارغو بدران حيث تقول: «النسوية الإسلامية هي خطاب وممارسة نسوية صيغت داخل نموذج إسلامي. في قراءتهنّ القرآن والسنّة تستحضر النساء المسلمات تجربتهنّ وأسئلتهنّ باعتبارهنّ نساء. وهنّ يرين أنّ التفسير الكلاسيكي وما بعد الكلاسيكي أيضا يقوم على تجارب الرجّال وأسئلتهم الذكورية في محورها، وعلى التأثير العام للمجتمعات البطريركية التي يعيشون فيها»[2]

كما قدّمت أماني صالح تعريفا آخر للنسوية الإسلامية، فهي« ذلك الجهد الفكري والأكاديمي والحركي الذي يسعى إلى تمكين المرأة انطلاقا من المرجعيات الإسلامية، وباستخدام المعايير والمفاهيم والمنهجيات الفكرية والحركية المستمدّة من تلك المرجعيات وتوظيفها إلى جانب غيرها»[3]

يمكن أن نستشفّ من التعريفين جملة من النقاط:

- تسعى النسوية الإسلامية إلى تفعيل حقوق النساء داخل الإطار الإسلامي.
- لا يحول هذا الإطار دون الاستئناس بمرجعيات وأدوات أخرى قد تكون غربية أو علمية/ علمانية.
- تسعى النسوية الإسلامية إلى تقديم "اجتهادات" في قراءة القرآن والسنة قراءة نسوية بديلة عن القراءة الذكورية التي امتدّت منذ وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إلى اليوم.
- يمارس النسوية الإسلامية ذكور وإناث، وإن كان الحضور الأنثوي هو الطاغي.

وقد أثار المفهوم جدلا واسعا لدى النسويات الغربيات والمتدينين الإسلاميين خاصة التّيار المتشدّد كونه يجمع بين مفهومين عدّا خطين متوازيين وهما "النسوية" و"الإسلام"، ولكلّ طرف وجهة نظره في رفض هذه التركيبة "المتناقضة"

التيار الإسلامي التقليدي: النسوية ... بدعة غربية:

اعترض التيار الإسلامي المحافظ بشدّة على مفهوم "النسوية الإسلامية" وعلى دعاوي نصيراته، لما رآه من تناقض صارخ بين "الإسلام" و"النسوية"، فالإسلام – من وجهة نظره- دين سماوي نزل للناس جميعا، وهو صالح لكلّ وزمان ومكان، لأنّه من عند الله، لذا لا يشوبه النقصان أو الخطأ، وهو ليس محلّ مزايدة أو مساومة في أحكامه، وتشريعاته وقوانينه، أمّا "النسوية، فهي

منتوج بشري بكلّ ما يعني ذلك من نقائص وأخطاء وزلات، والأدهى من ذلك، أنّها منتوج غربي علماني، لديه خلفياته وظروفه الخاصّة التي لا تتناسب مطلقا مع ظروف المسلمين قديما وحديثا.

ولم تكن "النسوية " لدى التيار الإسلامي المتشدّد مجرّد فكر غربي وعلماني غريب عن المسلمين فحسب بل هي رديف الانحلال الخلقي والتسيّب الأخلاقي لما تدعو إليه من تحرّر وخروج عن العرف والعادات والتقاليد كدعوته للمساواة المطلقة بين الرجال والنساء، ودعاويه المتتالية لشرعنة العلاقات "الشاذة كالمخادنة والسحاق...الخ،

كما عُدَّت "النسوية" أيضا جزءا من مشروع "الغزو الفكري الغربي" الذي يهدّد أمن وأخلاق المسلمين، لذا لم يتقبّل هذا التيار فكرة الجمع بين "النسوية و"الإسلام" ضمن ما يعرف بـــ "النسوية الإسلامية" لما رآه من تناقض على النحو الذي أوضحناه منذ قليل، وبالتالي رفض كلّ مبادئها وطلبتاها، إذ رآها صدى مقنّعا لـــ"سموم الغرب" الذي يريد أن يشتّت أوصال الأسرة المسلمة من خلال المطالبة بهامش أوسع لحرية المرأة.

النسوية الغربية: الإسلام دين معاد للنساء:

رفضت النسويات الغربية مفهوم النسوية الإسلامية كونه يجمع –من وجهة نظرها–بين طرفين متناقضين، "النسوية" التي تعني في تعريفها العام حركة تعني بالدفاع عن حقوق المرأة في المساواة بالرجل في الحقوق والواجبات كحق العمل، وحق الانتخاب، وحق الحكم، وشغل المناصب السامية...الخ، أمّا الإسلام –من وجهة نظر النسويات الغربيات والغربيون عموما– فهو دين جائر في حق النساء، ولا أدلّ على ذلك من أنّه –كما يعتقدن– يبيح تعدّد الزوجات، ويبيح ضربهنّ، وترث النساء في ظلّه نصف ما يرثه الرجال، وشهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد، ويبيح للرجل دون المرأة حقّ الإمامة والنبوة والخلافة والقوامة، ... الخ.

كما حفلت نصوصه (القرآن والأحاديث النبوية، والتفاسير) –من وجهة نظرهنّ– بكمّ هائل من الأدبيات التي تحقّر من شأن النساء، وتشرعن تفوّق الرّجال على النساء كقوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ﴾ (4) عَلَى بَعْضٍ ولذلك تتساءل بعض الباحثات: إذا كانت النسوية الغربية قد مرت بمراحل تاريخية لها طروحاتها، وخصوصياتها، وتفرّعت إلى نسوية ليبرالية، واشتراكية، وراديكالية، وبيئية، وصار الحديث عن النسوية ما بعد

النسوية وغيرها، فعن أيّة نسوية نتحدث في الوطن العربي.؟ هل تُعد النسوية الإسلامية فرعاً جديداً من بين فروع النسوية الغربية؟ وإذا كان المقصود بها تلك التي تخصُّ المسلمات، فهل يعني بروزها تحويلاً لمساريّ النسوية الغربية والنسوية العربية لاحقاً.؟

إذا كانت النسوية في الأصل حركة سياسية، ذات أهداف اجتماعية، ثمّ تحولت إلى حركة اجتماعية تهدف إلى استقلالية المرأة، وإبراز أهمية دورها في الحياة، والدفاع عن حقوقها، فهل يُعد إضفاء صفة الإسلامية على النسوية تحديداً لمجال عمل هذه الحركة، وتسييجاً لإطارها النظري، حتى تنسجم مع الرؤى السائدة في المجتمعات الإسلامية. فللغرب نسويته، وللمجتمعات الإسلامية نسويتها التي تتلاءم مع الخصوصيات والسياق التاريخي الراهن الذي أصبح فيه المدّ الأصولي حقيقة لا لبُس فيها.؟ (5)

وقد أدركت نصيرات "النسوية الإسلامية" حجم هذه الاعتراضات والتحديات والاتهامات التي تواجهها من جبهتين متعارضتين، لذا خاضت سجالات كثيرة لتردّ على كلّ جبهة بمنطق وأجوبة وحجج تختلف عن ردودها عن الجبهة الأخرى، ولنبدأ بردودها عن رافضي وجودها وشرعيتها من أنصار التيار الديني "التقليدي"

النسوية الإسلامية: التيار الإسلامي "التقليدي" ذكوري:

تزعم النسويات الإسلاميات أنّ الأحكام الإسلامية في مختلف تجلياتها كالتفاسير والنصوص الفقهية والأحاديث "المنسوبة" للرسول عليه الصلاة والسلام- التي صدرت منذ وفاة النبي عام656م قد تمثّلت توجها ذكوريا يمكن أن يفسّر بسهولة باحتكار المفسّرين والفقهاء ورجال الدين عموما سلطة الاشتغال في مجال أمور الدّين، وإقصاء النساء من هذه الدائرة، وعليه فقد أودع علماء الدين الرجال العلوم الدينية جلّ أسئلتهم و اهتماماتهم الذكورية، وكيّفوا تلك العلوم بما يتناسب ومصلحتهم "الذكورية" وإن يكن ذلك على حساب اهتمامات ومشاغل النساء، وقبل أن تستطرد النسويات الإسلاميات في هذا الطرح، وإقامة الدليل على ما يذهبن إليه، فقد أكّدن أوّل الأمر على ثلاثة أمور في غاية الأهمّية:

أوّلها: إنّ هناك فرق شاسع بين "الإسلام الحقيقي" والفهم البشري" للإسلام، فمن الأخطاء الخطيرة المتفشية بين علماء الدّين قول بعضهم :"إنّ الإسلام يحلّل كذا ويحرّم كذا"، والأصحّ – في زعم النسويات الإسلاميات- هو أن يقول: "إنّ فهمي الخاصّ للإسلام يقودني إلى تحليل هذا وتحريم ذلك"، وهذا ما عبّرت عنه الباحثة الإيرانية زيبا مير الحسيني بقولها: «..ففي الخطابات الشعبية ووسائل الإعلام وحتّى الخطابات الأكاديمية لا تزال الرؤية الأحادية للإسلام هي المسيطرة في الخطابين الأكاديمي والشعبي، فكثيرا ما نسمع عبارات تبدأ بـــ "الإسلام هو..."، و" القرآن يقول..."، ووفقا للشريعة الإسلامية،..." ونادرا ما يشير هؤلاء الذين يتحدّثون باسم الإسلام إلى أنّهم يعبّرون فحسب عن وجهة نظر ضمن وجهات نظر أخرى، فالنصوص المقدّسة والقوانين المستخلصة منها هي مادّة التأويل البشري، وعلاوة على ذلك، فالذين يتحدّثون عن الإسلام أو بالأحرى عن دين ذي علاقة بالإسلام يخفقون في وضع فارق بين الإيمان (قيمه ومبادئه) والفقه(القوانين والممارسات)»[6] وعليه لا بدّ من التفرقة بين الفقه والشريعة

ثانيها: هناك فرق بين الشريعة والفقه، تؤكّد النسويات الإسلاميات على أنّ الشريعة أعمّ من الفقه، وعلى أنّها أكثر اتّصالا بأوامر الله، وبما يخصّ العقيدة والأصول، وأمّا الفقه فهو أكثر تعلّقا بالأحكام الشرعية العملية كحكم الوضوء والطهارة والزواج والبيع والمعاملات، فالفقه هو مجال الاجتهاد البشري عبر العصور والأمكنة لذا فهو قابل للتغيير وإعادة التأويل والمراجعة المستمرة لأنه اجتهاد بشري الذي من الطبيعي أن يعتريه النقصان والخلل والقصور، لذا لا سبيل للحديث في مجال الفقه باسم الإسلام أو الشريعة أو الله...

ثالثها: إنّ الله عادل بين جميع البشر، ذكورا وإناثا، عربا وعجما، بيضا وسودا، ومعيار الفاضلة الأوحد هو التقوى، لذا لا منطق ولا داعي أصلا لتفضيل طرف على آخر لأسباب لونية أو عرقية أو جنسية، فذلك يتنافى مع مبدأ العدل الذي أقرّه الله على نفسه، كما أنّ دواعي الاختلاف أو المفاضلة – التي يروّج لها البعض- هي من خلق الله نفسه، فكيف يفضلّ الله جنسا على آخر، والكلّ من صنعه عزّ وجلّ؟.

وانطلاقا من هذه القناعات الثلاث راحت النسويات الإسلاميات يطرحن باستفاضة فكرة "ذكورية"الأحكام الإسلامية حيث فصّل علماء الدّين الذكور"الإسلام"على مقاسهم "الذكوري"،

وقد تأتّى لهم ذلك من خلال استراتيجيات عديدة عزّزت تفوّقهم "الذكوري" المزعوم، وهمّشت في المقابل من قيمة النساء، ومن تلك الاستراتيجيات:

- تجاهل الآيات التي تعلن بشكل صريح تساوي الرجال بالنساء في الحقوق والواجبات والأهمّية، كقوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض﴾ [7] والتركيز على الآيات التي تظهر تفوّق الرجال على النساء.
- تعميم تلك الآيات، والتمادي في تأويلها وتوسيع دلالاتها.
- تجاهل الآيات والأحاديث التي تكرّس قيمة النساء وتدافع على حقوقهنّ، إذ يقلّص رجال الدين –كما تزعم النسويات الإسلاميات– من دلالاتها، ويضيقّون من هامش تأويلاتها.
- وضع أحاديث تنسب كذبا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، تتضمّن تحقيرا لشأن المرأة، وتفويضا مطلقا للرجل على أمورها ومصيرها وحتى جسدها.

وعليه لخّصت النسويات الإسلاميات مهمّتهنّ في أن يجعلن «النسوية الإسلامية "قراءة نسوية للاهوت الإسلامي، و[يطرحن] فكرة أنّ التأويلات البطريركية للقرآن والحديث يمكن أن تُراجَع بفعالية من قِبل تأويل نسويّ مضاد»[8]، وتتضمّن هذه المهمّة جملة من الاستراتيجيات، نذكر منها:

- كشف التحيّزات الذكورية التي تطبع كتب التفاسير والنصوص الفقهية، تقول رفعت حسن "إنّ اللفظة الواحدة في اللغة العربية يمكن أن تحمل معاني كثيرة، ولكن لّما كان المفسّرون رجالا فقد كانت القراءات ذات أساس ذكوري. خذ سورة النساء الآية (34) التي يستشهد بها دائما حين تطرح قضية المساواة. في هذه الآية يوظّف القرآن لفظة (قوّامون) لوصف الرّجال. ترجمت هذه اللفظة دائما على أنّها رعاية ذكورية تمنح الرجال سلطة على النساء ليس داخل العائلة فحسب بل وفي الحياة العامة. تقول رفعت حسن: "ولكنني أعتقد أنّها تعني ببساطة "المعيل" ممّا يغيّر فورا دلالة الآية" وتستمرّ في قولها: «أسيء تأويل هذه الآية وأسيء قراءتها إلى درجة أنّها منحت الرّجال رقابة افتراضية على حيوات النساء »[9]حيت وسّعت "القوامة من حيّزها الأسري إلى حيّز الحياة العامة.

● التشكيك في الأحاديث النبوية التي تحقّر من شأن المرأة، والتي تتناقض مع أحاديث صحيحة تكرّم النساء، وتتناقض أيضا مع مبدأ العدل الإلهي، كالحديث النبوي الذي يجعل النساء أكثر أهل النار: أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) قَالُوا : بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : (بِكُفْرِهِنَّ) قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ، قَالَ : (يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ" والحديث النبوي الذي يؤكّد أنّ النساء ناقصات عقل ودين،" قال يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار، فقلن وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير،ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟قلن :بلى قال :فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِّ و لم تصُم؟ قلن :بلى قال فذلك من نقصان دينها ".

ولعلّ الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي هي أكثر النسويات الإسلاميات التي اشتغلت في معظم كتاباتها على مراجعة الأحاديث النبوية المحقّرة للنساء و مساءلة موثوقية السّنة النبوية التي تجعل النساء كائنا بشريا من الدرجة الثانية، في كتاباتها الكثيرة كـــ "الإسلام والديمقراطية" و"النساء والإسلام: تحقيق لاهوتي وتاريخي." و "ما وراء الحجاب" تشير المرنيسي إلى أنّه في عهد النّبي كانت هناك نساء مسلمات يشغلن –على غرار الرجال- مكانة "الصحابيات" ويمكنهنّ أن يناقشن النبيّ بحرّية في مسائل الإيمان والأخلاق. وأحد الطرق –كما تطرح- التي مكّنت الرجال من أن يجعلوا الإسلام ذكوريا هي التلاعب –والأخطر من التلاعب- "وضع" أدبيات الحديث النبوي. فأكثر الأحاديث وثوقية هي تلك التي جمعها البخاري، ولكن من ضمن 600000 حديث جمعها، هناك 7257حديث فقط حظي بعد التحقيق بالمصداقية. تنبّه إلى أنّه إذا كان هناك حوالي 596725حديثا كاذبا متداولا في عهد البخاري الذي لا يزيد عن قرنين من وفاة النبي، سيسهل على المرء أن يتخيّل عدد الأحاديث الموضوعة والمكذوبة المتداولة اليوم[10]

وقد أدّت هذه القناعات بالنسويات الإسلاميات إلى التشكيك في مصداقية بعض رموز الفقه والحديث الرجال الذين يحسب لهم ألف حساب: كالبخاري وأبي وهريرة، وهما قامتان في رواية الحديث النبوي الشريف، فقد شككت المرنيسي في مصداقية أحاديث البخاري الذي لم يبال كثيرا بتصحيحات عائشة للأحاديث المروية عن أبي هريرة، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة عن

الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال "سوء الحظ يوجد في ثلاثة أشياء: البيت، والمرأة ،والفرس" وتتعجب المرنيسي من أنّه لا يوجد أيّ أثر للتفنيد الذي قامت به عائشة لهذا الحديث في صحيح البخاري، "قيل لعائشة –كما كتب الشركسي- أنّ أبا هريرة كان على أهبة لأن يؤكّد أنّ رسول الله قال: «ثلاثة أشياء تجلب سوء الحظ " البيت، والمرأة ،والفرس" فردّت عائشة بأنّ أبا هريرة تلقّى دروسه حتما بشكل سيّء، لقد دخل علينا في حين كان رسول الله في وسط الجملة، فلم يسمع سوى النهاية، كان رسول الله قد قال: قاتل الله اليهود، إنّهم يقولون: "ثلاثة أشياء تجلب سوء الحظ " البيت، والمرأة ،والفرس»[11] وأعابت المرنيسي على البخاري أنّه لم يدخل هذا التصحيح بل إنّه عالج الحديث كما لو أنّه لم يشكّل موضوعا لأيّة معارضة (...) و لم يرد أيّ ذكر للنقاش الذي دار بين عائشة وأبي هريرة في هذا الشأن[12]

كان البخاري وأبو هريرة نموذجين للتحيزات الذكورية التي سادت رواية وتدوين الأحاديث، وقد دعّمت المرنيسي شكوكها بالإحصائيات، فنبّهت إلى أنّ عائشة رضي الله عنها عاشت بجوار النبي بصفتها زوجة ثماني سنوات وروت عنه 1210 حديثا امّا أبو هريرة فعاش بجوار النبي عليه الصلاة والسلام ثلاث سنوات بوصفه خادما ومع ذلك روى عنه 5300حديثا !!!.

- الحث على فتح باب الاجتهاد أمام النساء كي يقدّمن قراءة تأويلية نسوية للآيات والأحاديث تتناسب مع أسئلة المرأة ومتطلباتها، إذ تحتضن النسوية الإسلامية مشروع "إسلام بلا ذكورية"، تكتب أميمة أبو بكر- أستاذة بجامعة القاهرة وعضو مؤسس لمنتدى النساء والذاكرة- أنّ المشروع النسوي الإسلامي «هو محاولة متواصلة لإلغاء قراءات الجندر الماضية المتحيّزة التي أعدّها فقهاء ذكور، وأن يقدّم منظورات جديدة وبديلة حول العدالة والمساواة داخل الإسلام نفسه. في تحليلها منجزات النسوية الإسلامية حتّى الآن، تقول "إنّها برهنت [النسوية الإسلامية]على إمكانية هدم منجزات البطريركية»[13]

النسوية الإسلامية: النسوية الغربية احتكارية:

كما كان للنسوية الإسلامية ردودها وحججها ضدّ ادّعاءات النسوية الغربية، وخاصة في رفضها للتناقض المزعوم بين "الإسلام" و"النسوية"، فقد أكّدت على أنّ "ذكورية" الإسلام صنعها رجال الدّين الذّكور على النحو الذي شرحناه منذ قليل.

وفي خضمّ الحديث عن "ذكورية" الإسلام المزعومة، تنبّه النسويات الإسلاميات إلى نقطة جوهرية، وهي نظرة الإسلام إلى المرأة بوصفها كائنا جنسيا، وعلاقة ذلك بمكانتها من الرّجل، إنّ معظم الأديان تمتلك رؤية ذكورية للعلاقة بين الجنسية، ولعلّ قصّة آدم وحوّاء خير دليل على ذلك، إذ تربط بين المرأة والجنس الذي تعدّه خطيئة وشرّا، ولكنّ الإسلام دون سائر الأديان "لم ينكر الجنس أبدا على هذا النحو، في الواقع، الجنس هو طعم الجنّة، ولكنّ الإسلام [من منظور النسويات الغربيات ورجال الدين التقليديين] هاجم النساء بدلا عن ذلك، فبما أنّ النساء يعشن حاملات خطر الجنس وقواه الاجتماعية التدميرية غير المتناهية، وجب مراقبتهنّ(...) فمن المهمّ أن نحدّ من سلطة النساء الجنسية على الرّجال[14]

وقد التقطت الباحثة المغربية فاطمة المرنيسي هذه الفكرة لتقلب دلالتها، إذ لم تكن من منظورها دليلا على احتقار الإسلام للنساء بل على العكس، فهو يعترف بطاقاتهنّ الجنسية العظيمة دون أن يكون في الأمر انتقاص لهنّ، ولكنّ المجتمع الذكوري هو الذي عدّ الأمر نقيصة، وراح "يحمي" نفسه من هذا" الخطر" الداهم حين فرض سيطرته على النساء من خلال الفصل بين الجنسين، وتعدّد الزوجات،...الخ.

تؤكّد المرنيسي أنّ الإسلام يقرّ بسلطة النساء التي لا تقاوم على الرجال قالبة بذلك روح النظام البطريركي. وعليه، لم ينبع التأكيد على الفصل بين الجنسين في المجتمعات المسلمة من الاعتقاد بوضعية النساء التبعية بل من الوعي بطاقاتهنّ الكامنة. أدّى الاعتقاد بطاقات النساء الكامنة –كما تطرح المرنيسي- إلى إضفاء صبغة رسمية على مسألة الفصل بين الجنسين في العالم الإسلامي. وهنالك -وفقا لها- ثلاث مصادر تَحُدُّ من الحميمية في الوحدة المتغايرة الجنس (heterosexual unit) وهي: تعدّد الزوجات، حقّ الرجال أحاديّ الجانب في الطلاق، وسلطة الحماة في العائلة.[15]

وبالعودة إلى النسوية الغربية، فقد وقعت هذه الأخيرة–كما تزعم النسويات الإسلاميات- في مغالطة أخرى، وهي فخّ الخطاب الاستشراقي الذي صوّر النساء المسلمات مقموعات ومضطهدات باسم الدين الإسلامي، فقد روّج الخطاب الاستشراقي صورا نمطية عن المرأة المسلمة التي غالبا ما عدّت كائنا ضعيفا، مضطهدا، لا حول ولا قوّة له، فهي العبدة، والأمة، والسبية، والجارية، و المهدّدة دائما بزوجة ثانية وثالثة ورابعة، وهي مجرّد متاع جنسي رهن إشارة "السيّد"

لتلبية رغباته، ويكفينا دليلا على ذلك تفنّن ذلك الخطاب في الحديث عن تيمة "الحريم"، إذ أفاض الحديث عن عوالمه ودهاليزه، وهندسته ومعماريته، وعن سكّانه، ونسائه، بل وعن "أسراره" الغامضة وعوالمه الساحرة ، وهذه لوحة نموذجية عن عالم الحريم كما رسمه الرحالة الاستشراقي « وبعد أن يجعل السلطان حظاياه العاريات في البركة يروح يتسلّى بقذفهنّ بكرات صغيرة تلسع أجسادهنّ وتلتصق بها، وقد يعمد أحيانا إلى زيادة الماء في البركة حتّى يغمر رؤوسهنّ فيحاولن وهنّ يغرقن الصعود إلى الأعلى لاستنشاق الهواء فإذا هنّ صاعدات هابطات في لجّة المياه طلبا للحياة، وعندما يكتمل سرور السلطان بهذه اللعبة المسلية يأمر بتفريغ الماء وينادي على المخصيين ليخرجوا من البركة من بقي منهنّ على قيد الحياة»[16]

وتكرّرت كثيرا مثل هذه الصور في الأدبيات الاستشراقية ممّا رسّخ في الذهن أنّ الإسلام يجعل من المرأة متاعا جنسيا للرجل حق التصرف فيه كما يشاء. ولا يخفى على أحد المطامع الاستعمارية التي تبطّن هذا الخطاب الاستشراقي، حيث تجعل من المستعمِر "سفينة النجاة" لتلك النساء المضطهدات، وتجعل الرجل الغربي الأبيض هو المخلّص. لقد تلقّفت النسوية الغربية هذه الأفكار وأدرجتها في أجندتها، فجعلت من نفسها "الوصية" على المرأة المسلمة بل وعلى كلّ نساء العالم لأنّها ترى نفسها الأكثر وعيا وعقلانية وأهلية لتمثّل نفسها وتمثّل غيرها من النساء.

وفي الحقيقة لم تكن النسوية الإسلامية الوحيدة التي هاجمت النسوية الغربية/البيضاء وأدانت مزاعمها خاصّة أحقّيتها المزعومة في حقّ التعبير عن نساء العالم، أو جعل نفسها الوصيّة الوحيدة عنهنّ، وذلك لاختلاف المطالب ومصادر الاضطهاد الذي يتعرّضن له. فلقد تعرّضت النسوية الغربية/ البيضاء إلى انتقادات حادّة من قبل نساء العالم الثالث، «كانت أهمّ الشكاوي ضدّ الموجة الأولى والثانية للحركة النسوية أخذَها بعين الاعتبار الطبقة البيضاء والوسطى ومنظور النساء ذوات الامتياز. ورغم أنّ التيار العام للنسوية والنسويات حاول أن يدمج الكثير من الأشياء كي يوحّدوا اهتماماتهم لا تزال هناك فجوات كبيرة وقلق بشأن تفاهمهم وتآلفهم فيما بينهم. وهذا أحد الأسباب التي جعلت النساء الملوّنات، ونساء العالم الثالث، والنسويّات السوداوات، و.. الخ لا يعتبرن أنفسهنّ ضمن تيّار النّسوية "البيضاء". والمسألة هي أنّ التيار العام للنسوية يرى كلّ شيء من منظور أحادي، ترى رائداته أنّهنّ المخلّصات البيضاوات اللائي يستطعن المضيّ قدما،

وتحديد وضعية النساء عبر العالم، حتّى لو عنى ذلك انعدام فهم واحترام ثقافة الآخرين وديانتهم وهويّتهم.»[17]

وقد أدّت هذه الانتقادات إلى ظهور فروع جديدة للنسوية تحاول أن تخلق لنفسها هويتها المستقلة عن النسوية الغربية/ البيضاء كالنسوية العالمثالثية، و النسوية الملوّنة،...الخ، ولا تبتعد النسوية الإسلامية عن هذا التوجّه فقد اعترفت نصيراتها بأنّ مفهوم "النسوية" و"الجندر" هي مفاهيم أو بالأحرى مصطلحات غربية، ورغم ذلك فإنّ مطالب المساواة، وتحرير المرأة، والحقوق،...الخ ليست حكرا على الغرب، « تحاول النسويات الإسلاميات من خلال إصرارهنّ على تداول مصطلح النسوية الإسلامية أن يظهرن أنه ليس على الغرب أن يحتكر مسألة تعريف النسوية(...) وعليه، فرغم أنّهنّ قبلن مبادئ المساواة بين الجنسين المنصوص عليها في حقوق الإنسان العالمية فإنّهنّ يرفضن فكرة النسوية المؤسسة على العلمانية. وعلى هذا النحو، يطالبن بمكانتهنّ المستحقة في تاريخ النسوية»[18]

وترى الباحثة النسوية أميمة أبو بكر أنّ الوعي النسوي الإسلامي قد بدأ منذ القرن التاسع عشر ودون أدنى تأثّر برياح النسوية الغربية، وتجلّى ذلك الوعي في أعمال حنفي ناصف، وعائشة عبد الرحمن، وعائشة تيمور، وزينب فواز، ونظيرة زين الدين، وغيرهنّ من الباحثات «حيث السعي من أجل التمكين من الحقوق على خلفية ثقافية إسلامية عامّة كان من البديهيات، وإن غاب عن ذلك السعي التنظير المباشر والمناهج التحليلية المتعمّقة للمصادر الرئيسية والمسميات من أجل طرح رؤية تجديدية شاملة حول قضايا المرأة في منظومة الفكر والعلوم الدينية»[19]

أمّا بخصوص "علمانية" النسوية و"دينية" الإسلام، فقد أبدت النسويات الإسلاميات شكوكهنّ حول دلالة مثل هذه المفاهيم، والحدود الفاصلة المزعومة بينهما، فقد لاحظت مارغو بدران من خلال خبراتها أنّ هناك تداخلا بين "العلماني" و"الديني" في الخطاب النسوي الإسلامي والديني على حدّ سواء«وإذا أراد هذا الخطابان أن يتّحدا أو يتعاونا تمنعهما قوى سياسية كما حدث في اليمن(...) [لذا] من المهمّ تأريخ هذه المصطلحات "الديني" و"العلماني" ووضعها في سياقها لأنّها تعني أمورا مختلفة في أزمنة مختلفة وأماكن مختلفة»[20]

ولا تكاد النسويات الإسلاميات في إيران يبتعدن عن هذا الطرح، فها هي الباحثة نيرة توهيدي تحذّر« بأنّ على النسويات العلمانيات أن يميّزن النساء الإسلاميات اللائي يعزّزن بكلّ

صدق حقوق النساء وبالتالي يدرجنها في سياساتهنّ عن النساء اللواتي يصررن على إسلام متعصّب أو استبدادي. وتعقيبا على ذلك تُدرِج مستحسنة شهادة المحامية النسوية مهرانقيز كار (Mehrangiz Kar) التي شدّدت على "أنّ التأويل الإصلاحي المتمحور على النساء للقوانين الدينية يجب ألا يُعَدّ بديلا عن المطالب العلمانية أو الديمقراطية بل بالأحرى مكوّنا لتغيير اجتماعي أشمل»[21]

لم تكتف النسوية الإسلامية بأن توسع هامش تحرّرها من قيود أنظمة الإسلام التقليدي من جهة والنسوية البيضاء من جهة أخرى، بل سعت إلى أن تخلق لنفسها هويّة خاصّة وأجندة محدّدة عنوانها العام "تفعيل حقوق المرأة من منظور إسلامي"، وتحت هذا العنوان العام تندرج أهداف و آفاق أكثر خصوصية وأطرا أكثر وضوحا، وقد لخصتها الباحثة أماني صالح- وهي تتساءل عن تلك الأطر والقواعد التي تجعل نسوية ما تكتسب /أو تفتقد صفة "إسلامية"- كما يلي [22]:

- أن يكون الإطار المرجعي إسلاميا: وقد عنت به النسويات الإسلاميات القرآن الكريم، والسنة النبوية- بعد تمحيصها- لا غير كونهما أصلين ثابتين متفق عليهما أمّا التفاسير والفقه والإجماع فقد عدّت متغيّرات لاعتبارها جهودا بشرية. وليس جديدا على النسوية –كحركة فكرية- أن تتنوع مصادرها ومشاربها، فهناك النسوية الماركسية والنسوية الليبرالية والنسوية السوداء،...الخ.
- ضرورة نقد وليس نقض (بالمعنى العدواني المتربّص) الاجتهادات التفسيرية والفقهية وبخاصة في موضوعات المرأة، ونقدها من منظور مدى التزامها بهذين الأصلين [القرآن والسنة].
- ضرورة بدء أو انطلاق عملية اجتهادية نسوية في نطاق التفسير والفقه بل والفلسفة الإسلامية، ذلك أنّ أيّ اجتهاد نسوي في هذا السياق لا يهدف إلى تقديم انحياز بديل بل إلى إثبات صفة إنسانية عامة لعملية الاجتهاد الحيوية في الجسد الإسلامي.

وفي هذا السياق تعترف الباحثة أماني صالح باستحالة تقديم اجتهاد خال من الأهواء والتحيزات، ولكنّها تراهن على الحدّ الأدنى من الموضوعية وعلى فعالية تكامل الرؤى الذكورية والنسوية من أجل فهم أكثر للحقوق والواجبات. لقد أشرنا إلى معظم هذه الأطر في ثنايا البحث، ولكن في سياق التحرر من نظم "الإسلام الذكوري" أمّا الباحثة أماني صالح فقد ذكرتها في إطار سعي النسوية الإسلامية لخلق هويّتها الخاصة حتى لا تكون مجرد رد فعل لما هو موجود، لذا ترى الباحثة ألا تتبنى النسوية الإسلامية قيمة "المساواة" أو "الحرية" بل قيمة "العدل"، ....

الخاتمة:

لعلّ اهمّ النتائج التي توصلت إليها هذه الورقة ما يلي:

- لا يزال مفهوم النسوية الإسلامية يثير التساؤل والريبة في الأوساط الأكاديمية والشعبية رغم جهود نصيراته المستميتة في التعريف بهن وذلك بسبب تركيبته المثيرة للجدل، وضبابية حدوده ومنطقه ومنطقته.
- كشف هذا الجدل حول مصطلح "النسوية الإسلامية" عن عمق الريبة والتردد الذي يستشعره الأنا المسلم/العربي حيال منجزات الغرب الفكرية، إذ لا يزال يعتبرها تهديدا لهويّته العربية/المسلمة، كما كشف هذه الجدل أيضا عن عمق المركزية الأورو امريكية التي تتشبث بحقها الأحادي "المزعوم" في صنع "المعرفة" (موضوعا، ونهجا، ومصطلحا)وحقها الآخر "المزعوم" أيضا في تمثيل نفسا وغيرها بحجة أن "الآخرين" لا يستطيعون أن يمثلوا أنفسهم، ويحتاجون لمن يمثلهم.
- كما أعاد هذا الجدل التساؤل حول الفرق بين التوفيق والتلفيق في مسألة الأخذ من الآخر، فما اعتبرته النسوية البيضاء تلفيقا بين عنصر لاهوتي(الإسلام) وآخر بشري علماني(النسوية)، رأته النسويات الإسلاميات توفيقا بين فهم بشري لتعاليم دينية وإنتاج بشري (غربي) خالص.

وبعد، حاولت نصيرات النسوية الإسلامية أن يثبتن أنّه بالإمكان "تمكين" النساء داخل الإطار الإسلامي، وإن كان الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة لإعادة مراجعة المنظومة الدينية وكشف التحيزات الذكورية الكامنة وإعادة تقديم قراءة نسوية لها، وقد تعددت مجالات اهتمام النسويات الإسلاميات فبعضهنّ اشتغلن على القرآن وعلوم التفسير وأخريات فضلن أن تعكون مغامراتهنّ على أرض الحديث النبوي وأخريات اخترن مجال الفقه وقانون الأسرة، ولكن ما يؤخذ على الدراسات المدرجة ضمن النسوية الإسلامية أنها على كثرتها ظلت تتحدث **"عن"** النسوية الإسلامية وليس **"في"** النسوية الإسلامية أي أنها تؤرخ للمصطلح وتتبعه تاريخيا أكثر من أنها تقدم أطروحات إبداعية تجسد بعض تطلعات النسوية الإسلامية وآمالها العريضات.

الهوامـــش

1) نظر: محمد كاوسار أحمد وسلطانة جاهان : **الخطاب النسوي والإسلام: نقد** ترجمة: مديحة عتيق، مجلة أبوليوس، العدد03 كلية الآداب واللغات، جامعة سوق أهراس، 2015، ص122.

2) Margot Badran (2002**); Islamic Feminism: What's in a Name?** Al-Ahram weekly Online no 569 17-23 January, http://weekly.ahram.org.eg/2002/569/cul.htm

3) أماني صالح: **الأبعاد المعرفية لنسوية إسلامية،** ضمن كتاب (النسوية والمنظور الإسلامي: آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح)، ترجمة رندا أبو بكر، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة،2013، ص10.

4) سورة **النساء:** الآية34.

5) آمال قرامي: **النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم استراتيجيا نسائية لنيل الحقوق،** مجلة الحوار المتمدّن، الحوار المتمدن–العدد: 4009 - 2013 / 2 / 20 - 00:50

6) Ziba Mir Husseini : **Muslim Women's Quest for Equality Between Islamic Law and Feminism**, Critical Inquiry, Vol32, Nr 04, (Summer2006), The University of Chicago Press, p633.

7) سورة التوبة: الآية71.

8)Dr, Shazia Malik : **Towards a Feminist Interpretation of Islam: Faith and Gender in the Works of Fatima Mernissi**, IOSR, Journal of Humanities And Social Sciences (IOSR- JHSS) Volume 19, Issue3, Ver, IV, (Mar.2014) pp25-28 e- ISSN:2279-0837 p-ISSN: 2279-2845
www.iosrjournals.org

9) Liv TØnnessen : **Islamic Feminism**, Public Lecture, Ahfad University for Women, SWP, Sudan,2014,p8.

10) Dr, Shazia Malik : **Towards a Feminist Interpretation of Islam: Faith and Gender in the Works of Fatima Mernissi**, p26

11) فاطمة المرنيسي: **الحريم السياسي، النبي والنساء،** ترجمة: عبد الهادي عباس، دار الحصاد، سوريا،1993 ص96

12) فاطمة المرنيسي: **الحريم السياسي، النبي والنساء،** ص97.

13) Liv TØnnessen : **Islamic Feminism**, Public Lecture, Ahfad University for Women, SWP, Sudan,2014,p12

14) Mehrdad Davishpour**: Islamic Feminism: Compromise or Challenge to Feminism** (published in Iran Bulletin Middle East Forum, Summer, 2003, p56.

15) Dr, Shazia Malik : **Towards a Feminist Interpretation of Islam: Faith and Gender in the Works of Fatima Mernissi**, p27

16) رنا القباني: **أساطير أوربا عن الشرق، لفّق تسد:** ترجمة: صباح القباني، دار طلاس للنشر والتوزيع، ط3 سوريا،1994، ص41.

17) محمد كاوسار أحمد و سلطانة جاهان : **الخطاب النسوي والإسلام: نقد، ص**125

18)Liv TØnnessen : **Islamic Feminism**, Public Lecture, p14

19) أميمة أبو بكر: **لماذا نحتاج إلى نسوية من منظور إسلامي؟،** ضمن كتاب (النسوية والمنظور الإسلامي: آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، ص04.

20)Margot Badran (2002); **Islamic Feminism: What's in a Name?** Al-Ahram weekly Online no 569 17-23 January, http://weekly.ahram.org.eg/2002/569/cul.htm

21) محمد كاوسار أحمد وسلطانة جاهان : **الخطاب النسوي والإسلام: نقد،** ص133

22) انظر: أماني صالح: **الأبعاد المعرفية لنسوية إسلامية،** ص 11 وما بعدها.